تصدير

إن الحياة الإنسانية ذات نواحٍ شتىّ ، يمتاز كل منها عن الباقى من جهة ثم تتصل بها مؤثرة ومتأثرة من جهة أخرى، فناحية سياسية ، وأخرى إجتماعية وثالثة دينية ، ورابعة فنية أدبية إلى غير ذلك من ألوان الحياة ومَناحِيهَا وهذه الأحوال المتشابكة والمعقدة التى تلبسها الحياة خلال القرون المتعاقبة إنما تتطور وتستحيل فى بطء وأناة بعوامل كثيرة متباينة جلها معنوىّ ، أو خفىّ لا يمكن أن يحسّ ، أو يشاهد ، وإن كان يدرك ، وتبدو آثاره فى الحياة الحسية فى الأوقات المناسبة فليس من الميسور مطلقاً نقل أمة من حياة البداوة إلى حياة الحضر طفرة، كما انه ليس من السهل اليسر تلف نظام الحكم فى بضعة أيام ، كما أنه من المستحيل تغيير عقل الشعبي ، أو فنونه ، أو آدابه بتلك السرعة التى قد يتصورها الناس إلاّ أن يكون ذلك محاولة محكوم عليها بالفشل الذريع ومصيرها الانعكاس والضّرر ، بل المأساة الضارة والسّر فى ذلك هو أن هذه التغييرات تتناول الحياة النفسية للإنسان قبل كل شىء ، والتعبير المعنوى فى العقائد والأفكار ، وطرائق التفكير ، والتصوير والتعبير يستلزم زمناً طويلاً يسمح للعوامل المتباينة من " دين جديد أو رأى مبتكر ، أو أسلوب فنى حديث ، أو أدب طارىء أو تقاليد ، ونظم مفروضة أن تحدث أثارها ، وللنفوس أن تتهيأ للجديد ، ثم تتقبله ، حتى إذا توفرت جميع العوامل وحانت الفرصة المناسبة شاهدت حوادث وانقلابات يسميها الناس " ثورة " أو " نهضة " أو " تحولاً فى حياة الأفراد ، والجماعات ، فها هو ذا العصر الإسلامى الذى نجده خير ما يوضح لنا كيف تنتقل الشعوب من طور

تاريخى إلى طور سواه ، فالحياة العربية كانت فى أواخر القرن السادس "المسيحى" ، وأول القرن السابع آخذه فى التطور أدبياً وسياسياً ، ودينياً واجتماعياً ، وقد أحس المتقدمون بهذا التحول ورأوا فيه إرهاصاً ، أو مقدمة لحياة جديدة ، أو حدث عظيم يظهر فى هذه الأمة العربية ، ولم يخطئوا فى هذا التقدير حيث إن هذه الظواهر كانت دليلاً على أن حَدَثاً خطيراً سَيُلِمّ بهذه الأمة البدوية فيغير حياتها ، بل سيحدث فيها ثورة ، وانقلاباً هائلاً فى كل مناحى الحياة ، بل ويدفعها إلى تمثيل دورها الطبيعى على مسرح الحياة العامة .

ذينكم هو " الإسلام " وهو الحدث الخطير الذى أومأنا إليه آنفاً ، وإن فترة الإرهاص طور طَبْعىّ فى حياة العرب ، وهى كذلك الخطوة الأولى الممهدة لبداءة عهد جديد ، فهى الطلائع الأولى للعهد الإسلامى والمدخل إلى هذه الحقبة التى نواجهها ، إلا أن فترة الإرهاص هذه ذات مظاهر شتى ، فهى عقلية وسياسية واجتماعية ، وأدبية ، ونحن مضطرون أن نتتبع كل ناحية من هذه المناحى ، ونسير بها حتى ظهور الإسلام ، وبعد ظهوره لنعرف مداها وما أفادت من هذا الدين الجديد .

المؤلف
الأستاذ الدكتور
على الخطيب